

مدارس الأدب المقارن متعددة، ولكل مدرسة خصائص ومميزات وعيوب. ومن هذه المدارس:

1. **المدرسة الفرنسية:**

ينبغي، بداية، الإشارة إلى أن المدرسة الفرنسية من أعرق مدارس الأدب المقارن، وأقواها أثرًا لعاملين هما:

. تميّز وتفوق الثقافة الفرنسية على غيرها من الثقافات الأخرى، عند ظهور الأدب المقارن، في القرن 19م.

. النزعة القومية التي ميزت الأدب المقارن منذ ظهوره (بداياته)..

أ. **منظرو وأعلام المدرسة الفرنسية للأدب المقارن:**

يمكن تقسيم أعلم المدرسة الفرنسية ومنظريها إلى تيارين:

. **التيار التقليدي**: يعتبر (فان تييجم)، و(غويار)، و(آبل فرانسوا فيلمان)، و(سانت بيف) أبرز منظري التيار التقليدي الفرنسي، وقد نادوا بدراسة علاقات التأثر والتأثير بين الأدب الفرنسي والآداب الأوروبية بشكل مباشر أو

غير مباشر، ودراسة الروابط القومية دراسة تاريخية موثقة بالمصادر وكأنه فرع من فروع تاريخ الأدب، ونزعوا إلى المركزية الأوروبية في النظرة إلى الأدب المقارن.

وقد فرضت هذه المدرسة شروطا صارمة للدراسة المقارنة؛ إذ لا يمكن تصنيف أي دراسة في مجال الأدب المقارن إلا بتوفر الشروط الآتية:

* **<u>أولا</u>:** أن تكون الدراسة بين أدبين كل واحد يمثل أمة معينة أو أكثر، ولا تكون إلا في مجال الأدب، أي أنه لا تصنف الدراسات في مجال الأدب المقارن إلا إذا تناولت الدراسة مقارنة بين الأعمال الأدبية فقط، وتكون بين عملين (أدبيين) أو أكثر، بشرط توافر الاختلاف في القومية بين هذه الآداب. ومعيار القومية عند هذه المدرسة هو (اللغة)؛ إذ لا تصح المقارنة بين عملين أدبيين لغتهما واحدة مهما كان الاختلاف العرقي أو الجغرافي أو أي اختلاف آخر، لأن هذه المدرسة تعتبرهما من قومية واحدة، والمقارنة بينهما هي من قبيل الموازنة ومجالها هو: النقد الأدبي، وليس الأدب المقارن. وعليه فلا يصحّ .حسب هذه المدرسة. أن نقارن بين عمل أدبي لفيكتور هيجو، أو لامارتين الفرنسيين، مع عمل أدبي كتب باللغة الفرنسية لمولود فرعون، أو كاتب ياسين، أو مالك حداد، أو آسيا جبار أو غيرهم من الكتاب الجزائريين الذين يكتبون باللغة الفرنسية، لأنهم من القومية نفسها أي (الفرنسية).

* **<u>ثانيا</u>:** لا تكون عملية المقارنة في إطار الأدب المقارن إلا بين عملين أدبيين أو أكثر ثبت تاريخيا أن أحدهما قد تأثر بالآخر. أي ضرورة توفر الرابط التاريخي بين العملين الأدبيين، ولا يصح .وفق هذا الرأي. مقارنة الأعمال الأدبية حتى وإن كانت تنتسب لقوميات مختلفة ولغاتها مختلفة، وبينها تشابه، ما لم يتوفر الرابط التاريخي بينها، (وهو العامل الأهم والجوهري).

* **<u>ثالثا</u>:** أن يكون المؤثر أدبا موجبا والمتأثر أدبا سالبا؛ إذ إن قسمت المدرسة الفرنسية التقليدية آداب وثقافات العالم إلى قسمين؛ قسم موجب وقسم سالب، وربطت عملية التأثير والتأثر بحالة الاستعمار، وعلاقة الدول المستعمِرة بالدول المستعمَرة، لذلك ترى أن آداب وثقافة الدول المستعمرة هي دائما الأقوى وهي دائما المؤثرة، وعلى ذلك يكون أدبها موجبا، وأن أدب وثقافة الدول المستعمَرة هي الضعيفة، لذلك

فهي المتأثرة دائما. وبناء عليه، اعتبرت ثقافات وآداب أوروبا الغربية هي الموجبة، وهي المؤثرة دائما لأنها هي القوية وهي التي تمثل الحضارة. أما باقي ثقافات وآداب العالم الأخرى، (العربية والإفريقية خاصة) فتتأثر فقط باعتبارها ضعيفة ولا تمتلك ما تقدمه للآداب القومية الأخرى !!

. **نقد التيار الفرنسي التقليدي**: إن من يمعن النظر في الأسس والشروط التي وضعتها المدرسة الفرنسية التقليدية للدراسة المقارنة يلمس بكل وضوح طغيان وتقدّم البعد الإيديولوجي فيها عن البعد الأكاديمي العلمي، لأن تقسيم الآداب والثقافات العالمية إلى موجبة وسالبة، وربطها بعملية الاستعمار، أي ثقافة وأدب الدول المستعمرة موجبة، وثقافة وأدب الدول المستعمَرة سالبة، وجعل الآداب والثقافات الأوروبية (وعلى رأسها الثقافة والأدب الفرنسيين) هي الموجبة باعتبارها المستعمِرة المالكة للأدب الراقي والناقلة للحضارة، بينما الثقافات والآداب العربية والإفريقية والأسيوية هي السالبة لأنها ثقافة وآداب الدول التي هي تحت نير المستعمر، ولا تملك ما تقدمه للآداب القومية الأخرى، وكذلك ما يتعلق بربط القومية بعنصر اللغة فقط وإهمال كل العناصر الأساسية والجوهرية الأخرى المشكِّلة للقومية والتي تعتبر أكثر أهمية من عنصر اللغة، ليس له مبرر، ولم يبن على أي أساس علمي، وإنما بُني على أساس إيديولوجي بحت، الغرض الأساس منه هو ترسيخ الاستلاب الفكري الأوروبي، عموما، والفرنسي خصوصا، وكذلك خدمة النزعة "المركزية الأوروبية ". وهي تلك النزعة الإيديولوجية التوسعيّة المتعالية، التي تخدم مساعي الهيمنة الثقافية الأوروبية التي شكلت مكونا هاما من مكونات العقلية الاستعمارية الأوروبية في تلك الحقبة التي نشأت فيها المدرسة الفرنسية التقليدية. هذا الأساس والطرح غير العلمي (الإيديولوجي) بالذات هو الذي عرض هذه المدرسة للانتقادات الكثيرة من الفرنسيين أنفسهم قبل غيرهم، وعلى رأسهم المقارني الفرنسي (رينييه إيتامبل) الذي رفض وانتقد بشدة هذه الأسس والمبادئ التي قامت عليها المدرسة الفرنسية

التقليدية، وهو ذات السبب الذي جعل جيلا جديدا من المقارنين الفرنسيين أمثال: برونال، P. Brunel، وبيشوا Gl. Pichois، وروسو A.M. Rousseau ينشقّون عن تلك الأفكار التي تبنتها هذه المدرسة ويبتعدون عن تلك المبادئ والأسس الإيديولوجية التي قامت عليها.

. <u>التيار العالمي</u>:

من أشهر رواد هذا التيار: (ويليك رينيه)، و(أندريه روسو)، و(كلود بيشوا)؛ وقد تمرّدوا على رواد التيار التقليدي، فجاءت توجهاتهم مناقضة لما دعا إليه أنصار التيار التقليدي؛ إذ دعوا إلى

. ضرورة الامتناع عن دراسة العلاقات الخارجية للأدب.

. التركيز على العلاقات الداخلية للنصوص وما يجمع بينها من روابط لتحقيق ما بات يُعرف بِ "**<u>أدبيّة الأديب</u>**".

. اعتبار عامل (اختلاف اللغة) من الشروط الأساسية التي يجب توفرها.

وقد شكلت دعوات التيار التقليدي والتيار العالمي أهم مبادئ المدرسة الفرنسية.

<u>. نقد التيار الفرنسي العالمي</u>:

تم توجيه مجموعة من الانتقادات لهذا التيار، منها:

. عدم تحديد موضوع الأدب المقارن ومناهجه،إذ ركّز في دراسة الأدب على الخارج، وتفسير الأدب على أساس وقائع، دون التّركيز على دراسة الأدب نفسه من الداخل.

. التركيز على النزعة القومية والنزعة التاريخية؛ حيث اشتراط ضرورة اختلاف اللغة، ووجود روابط تاريخية بين النصوص لإثبات التأثر والتأثير.

2. **<u>المدرسة الأمريكية</u>:** وهي ثاني مدرسة في الأدب المقارن، وقد استفادت هذه المدرسة من الانتقادات التي وُجّهت للمدرسة الفرنسية. وقد قدّم أبرز منظري هذه المدرسة (هنري ريماك) تعريفًا للأدب المقارن، وحاول أن يتجاوز فيه ما أُخذ على المدرسة الفرنسية، وفيه يقول: "هو

دراسة الأدب فيما وراء حدود بلد معين، ودراسة العلاقات بين الآداب والمجالات الأخرى للمعرفة والاعتقاد كالفنون، والفلسفة والتاريخ والعلوم الاجتماعية باختصار، هو مقارنة أدب بأدب آخر أو آداب أخرى، ومقارنة الأدب بمجالات التعبير الإنساني الأخرى".

. **<u>خصائص المدرسة الأمريكية:</u>**

. تفادي المآخذ التي أُخذت على المدرسة الفرنسية.

. توسيع مجال الأدب المقارن بتقديم مفهوم أوسع للعلاقات الأدبية، والمقارنة بين الأدب وأنماط التعبير الإنساني.

. متابعة العلاقات المتشابهة بين الآداب المختلفة، تبعا لمصطلحات التوازي والتشابه والقرابة .

ورغم تجاوز المدرسة الأمريكية المآخذ التي أخذت على المدرسة الفرنسية، إلا أنها لم تسلم من الانتقاد.

<u>. نقد المدرسة الأمريكية:</u>

. عدم التفريق الحاسم والمنهجي بين مفهوم الأدب العام ومفهوم الأدب المقارن، واختلاط المفاهيم بينهما في التدريس في الجامعات.

. الازدواجية في تعريفات المدرسة للأدب المقارن؛ فهو، من جهة، المقارنة بين الآداب، ومن جهة أخرى بين الآداب ووسائل التعبير الإنساني، وهذا يعني مفهومين مختلفين.

. تورّط عدد من أتباع المدرسة الأمريكية في النزعة القومية عندما نظروا نظرة تمييز إلى التراث الغربي، وألغوا شرط اختلاف اللغة للمقارنة بين الأدب الأمريكي والإنجليزي المكتوبين بلغة واحدة .

. **المدرسة السلافية**:

وهي ثالث مدرسة من مدارس الأدب المقارن، ظهرت في الاتحاد السوفييتي، سابقا، في النصف الثاني من القرن العشرين وذلك بعد زوال الستالينية.

لقد كان ينظر إلى الأدب المقارن آنذاك على أنه من العلوم البورجوازية التي يجب ألا تدرّس في دولة اشتراكية، ولذلك رأى بعض الدراسين أنه من الأفضل تسميتها بـ: "المدرسة الماركسية" بدلا من المدرسة السلافية.

ومن روّاد هذه المدرسة: ألكسندر ديما، روبرت فايمان .

اتخذت هذه المدرسة الفكر الماركسي مرجعا لها، حيث يرى أن الأدب بناء أيديولوجي فوقي للمجتمع يقف مقابل بناء اقتصادي واجتماعي تحتي، وأن البناء التحتي هو المتحكم في الأدب وأشكاله ومضامينه، وبذلك فإن المقارنة بين أدبين يجب أن تكون على أساس تشابههما أو انفصالهما في هذا البناء، لا في القواسم القومية.

. **خصائص المدرسة السلافية**:

عُرفت المدرسة السلافية بخصائص جعلتها تتميز عن غيرها من مدارس الأدب المقارن الأخرى، ومن هذه الخصائص:

. النظر إلى الأثر السياسي في الأدب المقارن.

. النزعة إلى الآداب الوطنية.

. النزعة الإنسانية في البحث عن اهتمامات الإنسان، وكل ما هو حقيقي فيه.

. الاتجاه إلى تحديد معالم اجتماع الأدب المقارن وتقريبه من على الاجتماع.

. الجمع بين المقارنة الاجتماعية والأيديولوجية في الأدب، بالإضافة إلى جمعه بين داخل النصوص الأدبية وسماتها الأسلوبية عند المدرسة الأمريكية، وخارج النصوص وتاريخها.

. الايمان بالمادية الجدلية والمادية التاريخية.

. الاقتراب بمرونة من باقي العلوم والفلسفات المجاورة مثل فلسفة التاريخ.

المراجع:

1. كلود بيشوا، أندريه .م روسو، الأدب المقارن، ترجمة د. أحمد عبد العزيز، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط3، 2001،

2. محمد غنيمي هلال، الأدب المقارن، دار العودة ودار الثقافة، بيروت، لبنان، ط5،1981،

3. أحمد درويش، نظرية الأدب المقارن، وتجلياتها في الوطن العربي، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2002،

4. ماريوس فرانسوا غويار، الأدب المقارن، ترجمة هنري زغيب، منشورات عويدات، بيروت، لبنان، ط2، 1988،

5. عبده عبود، الأدب المقارن مشكلات وآفاق، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 1999،

6. حسام الخطيب، آفاق الأدب المقارن عربيا وعالميا، دار الفكر، دمشق، ط2، 1999،

7. سعيد علوش، مدارس الأدب المقارن. دراسة منهجية، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1،1987